

## **الفصل الأول**

# **النَّزَعَةُ الْوِجُودِيَّةُ الْعُبُثِيَّةُ فِي شِعْرِ بَشَارِ بْنِ بَرْد**

## النزعـة الوجـودـية العـبـشـية في شـعـرـ بشـارـ بنـ بـردـ

حظي بشار بن برد المقتول سنة 168هـ، باهتمامات الدارسين من قدامى ومحدثين، وقد شغلوا أو شغل كثيرون منهم في تلمس الأسباب الكامنة وراء طغيان ظاهرة العبث والمجون في حياته وفي شعره. وتحاول هذه الدراسة أن تبين بالقرائن النصية سرّ طغيان هذه الظاهرة؛ إذ رأت ان بشاراً كان ذا نزعـة الوجـودـية العـبـشـية، وهي نزعـة تقوم على محددات أربعة متلاحمـة متراـسلـة هي: الحـيرـة الاعـتقـاديـة، والـرهـبة منـ الموـتـ، والإـقبال عـلـى اللـذـةـ بالـمـرـأـةـ والـخـمـرـ، والإـيمـانـ بالـحرـرـيـةـ الفـرـديـةـ إـيمـاناًـ جـعلـهـ يـتـحدـىـ السـلـطـةـ الـدـيـنـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ التـيـ حـاـوـلـ أـرـبـابـهـ أـنـ يـحـدـوـاـ منـ جـمـوحـهـ فـأـبـيـ. وقد رصدت الدراسة هذه الأبعـادـ كلـهاـ مرـكـزاـ علىـ درـاسـةـ شـعـرـ الشـاعـرـ أـكـثـرـ منـ الـاهـتمـامـ بـروـايـاتـ كـتـابـ التـرـاجـمـ وـالـأـخـبـارـ.

### المقدمة

شغلت حـيـاةـ بشـارـ بنـ بـردـ، وـقـبـحـ عـمـاـهـ، وـضـعـةـ نـسـبـهـ، وـمـذـهـبـهـ السـيـاسـيـ وـالـاعـتقـاديـ، وـسـلـاطـةـ لـسـانـهـ فـيـ الـهـجـاءـ، وـتـهـالـكـهـ عـلـىـ اللـذـةـ، وـشـعـوبـيـتـهـ، وـمـقـتـلـهـ عـلـىـ يـدـ الـخـلـيقـةـ الـمـهـدـيـ سـنـةـ 168هـ/785مـ، اهـتـمـامـاتـ الدـارـسـينـ مـنـ قـدـمـاءـ وـمـحدثـينـ. كـمـاـ اـنـشـغـلـ دـارـسـوـنـ كـثـيـرـوـنـ فـيـ تـبـيـنـ مـوـقـعـهـ فـيـ سـيـاقـ حـرـكـةـ التـجـدـيدـ فـيـ الشـعـرـ الـعـرـبـيـ فـيـ الـعـصـرـ الـعـبـاشـيـ. وـالـنـاظـرـ فـيـ أـدـبـيـاتـ هـذـاـ عـصـرـ يـهـوـلـهـ كـثـرـةـ مـاـ كـتـبـ وـأـلـفـ عـنـ هـذـاـ الشـاعـرـ، إـنـ فـيـ فـصـولـ مـنـ كـتـبـ، أـوـ فـيـ مـؤـلـفـاتـ خـاصـةـ بـهـ مـنـفـرـدـةـ. وـهـذـهـ وـتـلـكـ تـشـهـدـ لـشـارـ بـالـتـمـيزـ، وـتـغـرـيـ الـبـاحـثـينـ بـمـعاـوـدـةـ الـنـظـرـ فـيـ سـيـرـةـ هـذـاـ الشـاعـرـ، وـقـرـاءـةـ شـعـرـهـ قـرـاءـةـ دـقـيقـةـ فـاحـصـةـ وـشـامـلـةـ، لـعـلـ فـيـهـاـ مـزـيـدـاـ مـنـ قـوـلـ، وـرـؤـيـةـ جـديـدةـ تـنـضـافـ، فـهـذـاـ شـائـنـ الـمـبـدـعـينـ الـكـبـارـ فـيـ الـآـدـابـ الـإـنـسـانـيـةـ كـلـهاـ.

وـمـنـ أـبـرـزـ الـمـحاـورـ الـتـيـ اـسـتـرـعـتـ اـنـتـبـاهـ الدـارـسـينـ فـيـ شـعـرـ بشـارـ وـحـيـاتـهـ هـذـاـ الإـقبالـ الشـدـيدـ عـلـىـ اللـذـةـ؛ فـهـمـ مـجـمـعـونـ عـلـىـ القـوـلـ إـنـ بشـارـ بنـ بـردـ، شـاعـرـ اللـذـةـ الـحـسـيـةـ، كـانـ يـتـطـلـبـهـ، وـيـسـعـيـ إـلـيـهـ، وـيـعـبـرـ عـنـ رـغـبـتـهـ الـجـارـفـةـ فـيـ اـنـتـهـابـهـ، وـيـصـوـرـ ظـفـرـهـ، مـسـتـمـتـعـاـ بـهـ غـيـرـ عـابـيـءـ بـقـيـمـ دـيـنـيـةـ أـوـ أـخـلـاقـيـةـ، أـوـ أـعـرـافـ اـجـتـمـاعـيـةـ، أـوـ أـوـامـرـ سـلـطـوـيـةـ. وـهـمـ عـلـىـ إـجـمـاعـهـمـ هـذـاـ يـخـتـلـفـونـ بـعـدـ ذـلـكـ فـيـ تـفـسـيرـ الـأـسـبـابـ الـكـامـنـةـ وـرـاءـهـاـ، وـالـدـوـافـعـ إـلـيـهـاـ.

وـتـعـكـفـ هـذـهـ الـدـرـاسـةـ عـلـىـ هـذـاـ الجـانـبـ مـنـ حـيـاةـ بشـارـ وـشـعـرـهـ، فـتـرـصـدـ مـجـمـلـ القـوـلـ فـيـ آـرـاءـ الدـارـسـينـ فـيـ تـفـسـيرـ هـذـاـ الـمـنـحـىـ فـيـ حـيـاةـ الرـجـلـ أـوـلـاـ، ثـمـ تـخـلـصـ إـلـىـ تـفـسـيرـ خـاصـ بـهـ، يـعـولـ عـلـىـ شـعـرـ الشـاعـرـ أـكـثـرـ مـنـ الـاهـتمـامـ بـروـايـاتـ الـإـخـبارـيـينـ وـكـتـابـ التـرـاجـمـ.

## النزعه الوجودية العبئية في شعر بشار بن برد

وأحب أن أنبه على أمرتين في هذه الدراسة كنت مضطراً إليهما بسبب من طبيعة هذا الموضوع: الأول كثرة الشواهد الشعرية المبثوثة في ثنائيات التي لولاها لظل القول في نزعه بشار الوجودية العبئية ضرباً من الافتئات على الشاعر، غير مؤسس على استقراء شامل ودقيق لشعره. والثاني متولد عن الأول نابع منه بالضرورة، وهو ما يظهر من تكرار في الاستنتاج والأحكام على تلك الأشعار لإلحاح بشار المتكرر على هذا النزع.

### أولاً: آراء الدارسين في تفسير تهالك بشار على اللذة.

لا يختلف جلّ الدارسين في تفسير تهالك بشار على اللذة، وهم مجمعون أو كالجماعين في تلمس الأسباب الرئيسية في نزوع بشار إليها حين يذكرون أن ذلك يرتد إلى طبيعته وجبلته التي خلق عليها، فهو ضخم الجثة، أعمى، قبيح العمى، وجهازه العصبي حادٌ مفرط الحدة، فنجم عن ذلك قوة جسدية وجنسية فائقة عرف بها<sup>(1)</sup>. كما لاحظوا أن بشاراً كان وضيع النسب، فقيراً في وسط بيئي يسخر من الموالى والفقراء وأصحاب العاهات، فتولد لديه شعور التعالي والجرأة في التصرّح برأيه المخالفة للعرف، والمواضعات الاجتماعية، والقيم الدينية، فنظم أشعار المجنون والغزل المغربي بالرذيلة انتقاماً من ذلك المجتمع الذي أحق به الأذى والظلم والاحتقار<sup>(2)</sup>. وأضافوا إلى ذلك قولهم إن عوامل البيئة في البصرة وبغداد وما كان يشيع فيهما من دور نخاسة وجوار وحانات، أسهمت كلها في خلق هذا التوجّه لدى هذا الشاعر<sup>(3)</sup>.

ويكاد المازني يحصر نزوع بشار المفرط إلى اللذة والتعهر في عماء، وعمّ حكمه على طوائف أخرى من المكتوفين، كأبي العلاء المعري، وعلي بن جبلة، المعروف بالعكوك، الذين اشتركوا جميعاً في إساءة الظن بالمرأة، واعتبارها مخلوقة يجب ألا يوثق بها<sup>(4)</sup>.

وعدّ محمد زكي العشماوي عمى بشار سبباً في تحديه لمجتمعه وللقدر الذي أفقده نعمة البصر، فاستغل حرية الشخصية للتغلب - كما يقول - على هذا الوجود الأحمق الميؤس منه، والتمس التعميض عما فقد بالقوة المعنوية، وعدم الاستسلام للقنوط، والتمرد على التقاليد الاجتماعية، والأوضاع السياسية، والعقائد، ونادي بالتحرر الأخلاقي الجنسي<sup>(5)</sup>.

وأرجع إبراهيم أحمد ملحم سبب إقبال بشار على اللذة إلى عوامل عدة حين قال: "فمن جراء شعور بشار بالنقص في مجتمع لا يكفي عن تذكيره به، ونتيجة لضيقه بالناس، وتبرمه بهم، واتصاله بأفكار المعتزلة وغيرها من الفلسفات المختلفة التي أدخلت الشكوك إلى نفسه،

## الفصل الأول

فقد اندفع إلى اللهو ومتطلبات الجسد، علّه يتخفّف من تناقض الواقع مع تطلعات الذات، فسعى يتلف ذاته في اللذة "ليحقق لنفسه الخلود بتحقيق الخصوبة الطبيعية، أو الخصوبة الفنية؛ لأن الرغبة في الخلود متصلة لدى الإنسان".<sup>(6)</sup>

وسمى محيي الدين صبحي هذا النزع في حياة بشار وشعره المنزع الدهري الذي يدعو إلى المتعة قبل رقدة الموت، غير أنه لم يتعقب بروز هذه النزعـة في شعر بشار؛ لأن دراسته كانت معنية بالبحث عن قتل بشاراً، ولذلك وجدها يكتفي للتدليل على هذه النزعـة الدهـرية البشارـية بالوقوف على نص واحد من شعر الشاعـر حلـله تحليلاً بدـيعـاً.<sup>(7)</sup>

### ثانياً: محور هذه الدراسة

ترى هذه الدراسة أن نزوع بشار إلى اللذة إنما مردّه إلى حيرته الاعتقادية، وقلقه الوجودي، وإيمانه بعبيـة الحياة. وقد انسحبـ هذا الاعتقاد على مسلكـ الشاعـر وتصـرفاتهـ فيـ الحياةـ، وطبعـ بهاـ شـعرـهـ الـذـيـ رـأـيـ فـيـ هـيـرـ وـسـيـلـةـ لـإـصـالـ خـطـابـ إـلـىـ النـاسـ؛ـ لـيـكـفـواـ عـنـ لـوـمـهـ وـتـقـرـيـعـهـ،ـ وـخـنـقـ حـرـيـتـهـ،ـ وـتـهـيـدـهـ بـالـقـتـلـ،ـ وـنـفـيـهـ مـنـ الـبـصـرـةـ.<sup>(8)</sup>ـ وـلـبـيـانـ ذـلـكـ كـلـهـ،ـ فـإـنـهاـ تـتوـسـعـ فـيـ التـطـبـيقـ بـرـصـدـ الشـوـاهـدـ إـلـاـخـارـيـةـ وـالـشـعـرـيـةـ الـكـثـيرـةـ مـنـ شـعـرـ الشـاعـرـ وـحـيـاتـهـ،ـ وـأـقـوالـ مـعـاصـريـهـ عـنـهـ.ـ وـيـحـسـنـ التـنبـيـهـ هـنـاـ عـلـىـ أـنـ بـعـضـ الـدـرـاسـاتـ الـتـيـ ظـهـرـتـ حـتـىـ بـعـيدـ صـدـورـ نـسـخـةـ مـحـمـدـ الطـاهـرـ بـنـ عـاشـورـ لـدـيـوـانـ الشـاعـرـ،ـ كـانـتـ قـدـ عـوـلـتـ عـلـىـ شـعـرـ الشـاعـرـ المـتـنـاثـرـ فـيـ كـتـبـ التـرـاجـمـ وـالـأـدـبـ -ـ وـبـخـاصـةـ كـتـابـ الـأـغـانـيـ -ـ لـاـ عـلـىـ شـعـرـ الشـاعـرـ فـيـ دـيـوـانـهـ،ـ فـفـاتـ أـصـاحـابـ تـلـكـ الـدـرـاسـاتـ شـعـرـ كـثـيرـ لـمـ يـطـلـعـواـ عـلـيـهـ.ـ وـيـنـسـحـبـ هـذـاـ حـكـمـ تـمـثـيلـاـ عـلـىـ دـرـاسـاتـ طـهـ حـسـينـ،ـ وـالـعـقـادـ،ـ وـالـمـازـنـيـ،ـ وـالـنـوـيـهـيـ،ـ وـمـحـيـيـ الـدـيـنـ صـبـحـيـ الـذـيـ كـتـبـ مـقـالـهـ عـنـ بـشـارـ بـعـدـ صـدـورـ دـيـوـانـ الشـاعـرـ بـزـمـنـ طـوـيلـ.<sup>(9)</sup>

#### أ - بـدوـاتـ وـقـرـائـنـ إـخـبارـيـةـ عـلـىـ هـذـهـ النـزعـةـ

تـتراـكمـ أـخـبـارـ كـثـيرـةـ فـيـ كـتـبـ التـرـاجـمـ وـالـأـدـبـ الـعـبـاسـيـةـ تـشـيـ بـمـنـزعـ بـشـارـ الـاعـتقـاديـ المـتـحـيرـ المـخلـطـ.ـ وـأـقـدـمـ مـنـ كـشـفـ عـنـ هـذـهـ النـزعـةـ الـجـاحـظـ الـذـيـ قـالـ:ـ إـنـ بـشـارـاـ كـانـ يـدـيـنـ بـالـرـجـعـةـ.<sup>(10)</sup>ـ وـالـرـجـعـةـ عـنـ اـبـنـ مـنـظـورـ مـذـهـبـ طـائـفةـ مـنـ أـهـلـ الـجـاهـلـيـةـ،ـ وـأـهـلـ الـبـدـعـ فـيـ إـلـسـلـامـ كـانـواـ يـعـقـدـونـ أـنـ إـلـاـنـسـانـ يـرـجـعـ بـعـدـ الـموـتـ إـلـىـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ.<sup>(11)</sup>ـ كـمـاـ قـالـ الـجـاحـظـ عـنـهـ أـيـضاـ إـنـهـ كـانـ يـكـفـرـ جـمـيعـ الـأـمـةـ،ـ وـيـصـوـبـ رـأـيـ إـبـلـيـسـ فـيـ تـقـديـمـ النـارـ عـلـىـ الطـيـنـ.<sup>(12)</sup>ـ وـاسـتـدـلـ الـجـاحـظـ عـلـىـ ذـلـكـ بـقـولـ بـشـارـ نـفـسـهـ:ـ (ـالـكـامـلـ).

فـتـنـبـهـوـاـ يـاـ مـعـشـرـ الـفـجـارـ

إـبـلـيـسـ أـفـضـلـ مـنـ أـبـيـكـمـ آـدـمـ

إبليسُ من نارٍ وأدمٌ طينةٌ  
والطينُ لا يسمو سموّ النارِ  
وبقوله أيضاً: (البسيط)

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبدة مذ كانت النارُ

وروى ابن المعز في طبقاته خبراً عن عرف بشاراً أنه قال: كان بشار أفقه الناس وأعلمهم بكتاب الله، فعاشر قوماً من الحرّانيين، فخبث دينه<sup>(13)</sup>.

وروى أبو الفرج الأصفهاني أنه كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام كانوا يجتمعون في منزل أحدهم ويختصمون، فصار اثنان منهما إلى الاعتزال هما واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، وصحح اثنان آخران اعتقادهما هما عبد الكريم بن أبي العوجاء، وصالح بن عبد القدس، وصار الخامس إلى مذهب من مذاهب الهند يدعى السُّمنيَّة، وهو مذهب دهري ملحد لا يؤمن أتباعه بالأخرة<sup>(14)</sup>. أما سادسهم بشار، فبقي مت習راً مخلطاً<sup>(15)</sup>.

وروى أن بشاراً شهد مجلساً فقال لجلسائه: لا تصيروا مجلسنا هذا شعراً كله، ولا حديثاً كله، ولا غناء كله، فإنَّ العيش فرص، ولكن غنووا، وتحدوها، وتناشدوها، وتعالوا نتنهب العيش تناهباً<sup>(16)</sup>. ويروى أن أحد أصدقاء بشار من المجان أشار على بشار أن يخرج إلى الحج ليغافل عن نفسيهما ما نسبه الناس إليهما من الزندقة، فاشترىا بغيراً ومحملاً، غير أنهما أشفقا على نفسيهما من مشقة الرحلة، واتفقا أن يميلا إلى محلة بالكوفة يتعممان فيها، فإذا قفل الحاج عارضاهما بالقادسيَّة، وجراً رأسيهما موهمين الناس عند عودتهما أنهما عادا من الحج، مع أنهما ظلا يشربان الخمر ويفسقان في تلك المحلة<sup>(17)</sup>. كما روى أن بشاراً سئل مرة عن أحب الأشياء إليه، فأجاب "طعام مُرْ، وشراب مُرْ، وبنت عشرين بكر"<sup>(18)</sup>.

وروى الأصفهاني عن بعض معاصرى بشار أنه قال: "كنت أكلم بشاراً وأرد عليه سُوء مذهب بميله إلى الإلحاد، فكان يقول: ... وأنَّ الذي نحن فيه خذلان، ولذلك أقول: (الطوبل).

طُبِّعْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُخِيرٍ  
هَوَى، وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمُهَذِّبَا  
أُرِيدَ فَلَا أَعْطَى، وَأَعْطَى وَلَمْ أَرِدْ  
فَأُصْرَفُ عَنْ قَصْدِي وَعِلْمِي مُقْصِرٌ  
وَأَمْسِي وَمَا أَعْقِبْتُ إِلَّا "الْتَّعَجْبًا"<sup>(19)</sup>.

كما روى الأصفهاني عن بشار أنه حين عزَّاه أحدهم بابنه قائلًا له: "أَجْرُ قَدَّمْتَه وَفَرَطْ افترطْتَه، وَذَخْرُ أَحْرَزْتَه، فقال: "وَلَدْ دَفَنْتَه، وَلَكُلْ تَعَجَّلْتَه، وَغَيْبُ وُدْعَتَه فَانْتَظَرْتَه، وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ  
أَجْزَعْ لِلنَّصْ لَا أَفْرَحْ لِلزِّيَادَة"<sup>(20)</sup>.